الحمد في فواتح السور "معاني ودلالات"

صالح بن عبدالرحمن بن عبدالله الدرويش.

قسم القرآن وعلومه ، كلية أصول الدين بالرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.

البريد الإلكتروني: bohooth.saleh@gmail.com

الملخص:

تضمن هذا البحث تعريف الحمد، وأنواع فواتح السور، ودراسة للسور المفتتحة بالحمد، وعددها خمس سور، مع إبراز ما فيها من معاني ودلالات، وعلاقة افتتاح السورة بالحمد بموضوعاتها، وذكر المعاني والدلالات من افتتاح السورة بالحمد مما ذكره المفسرون وأهل العلم مما له علاقة بموضوع الآية، ولقد توصلت في نتائج البحث إلى ظهور العلاقة بين الحمد في فواتح السور وموضوعاتها، وكذلك دلالة حمد الله تعالى على إثبات صفتي القدرة والعلم له سبحانه وتعالى، ودلالة حمد الله تعالى على إثبات استحقاقه تعالى للعبادة، وقدرته على البعث، وإثبات الرسالة للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

الكلمات المفتاحية:

الحمد، فواتح، سور القرآن، إعجاز، معاني، دلالات.

Praising in Preambles of Chapters (Meanings and (Connotations

Saleh Ben Abd Al-Rahman Ben Abdullah Al-Darwish
Department of Interpretation and Quranic sciences, Faculty of Fundamentals of Religion, Al-Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University, Saudi Arabia
E-mail: bohooth.saleh@gmail.com

Summary:
This paper includes the definition of Praising, the types of preambles of Chapters and the study of the Chapters starting with Praising (manifested in five Chapters), along with unveiling their core meanings and connotations. It also studies the relationship between starting the Chapters with Praising and their subjects, along with discussing the meanings and connotationsof startingChapters with Praising noted by the scholars and interpreters in relationship with the subject of their verses. Researching about this subject devolved into discovering a connection between the both, and how Praising implies the two names and attributes of Allah Almighty being the Most Able and the Omniscient; in addition to Him being worthy of worshiping, His Ability of resurrection, and proving Prophet Muhammad's, Peace Be Upon Him, Message.

Keywords: Praising, Preambles, Chapters of Quran, Inimitability, Meanings, Connotations.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد ...

فقد افتتح الله خمسًا من سور القرآن الكريم بالحمد والثناء على ذاته العلية الشريفة، والمتأمل لصيغ الحمد في السور الخمس يجد تنوعًا بينها، ممَّا يسترعي انتباه القارئ للقرآن الكريم التدبر لهذه الصيغ واستجلاء المعاني والدلالات لها؛ امتثالًا لأمر الله القائل: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص : ٢٩] .

وقد حمد الله ذاته العلية الشريفة بكونه ربًا للعالمين، وبخلقه السماوات والأرض، وبإنزاله الكتاب المبين، وبملكه لما في السماوات والأرض، وبكونه

فاطر السماوات والأرض.

وهذا التنوع في صيغ الحمد، له تأثير في النفوس، وجذب للأسماع، ولفت للانتباه، وإيقاظ لمشاعر الغافلين.

وموضوع هذا البحث:

"الحمد في فواتح السور معاني ودلالات" ينبئ عن مضمونه، فهو دراسة للحمد الوارد في فواتح سور القرآن.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١) تعلق هذا البحث بتدبر كتاب الله ﷻ وفهم معانيه.

٢) الاسهام مع من سبق في بيان أن لافتتاح السور معاني ودلالات.

٣) كون هذا الموضوع لم يُبحث، وحاجة المكتبة القرآنية له.

أهداف البحث:

١- تعريف الحمد ودلالاته.

٢- بيان أنواع فواتح السور.

٣- إبراز المعاني والدلالات للسور المفتتحة بالحمد

٤- ذكر العلاقة بين فواتح السور وموضوعاتها.

حدود البحث:

يتناول هذا البحث السور المفتتحة بالحمد وعددها خمس سور، وذكر ما تضمنه افتتاحها بالحمد من المعاني والدلالات.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع على فهارس الرسائل العلمية والدراسات التفسيرية، والبحث في مظانه بالرجوع إلى مراكز البحوث المتخصصة وسؤال أهل الخبرة

والاختصاص لم أجد من تعرض لبحث هذا الموضوع الحمد في فواتح السور- معاني ودلالات-، وما وجدته هو ما يأتي:

١- رسالة ماجستير بعنوان: "فواتح السور وخواتيمها -دراسة نصية تحليلية" للطالبة: ألاء الحبر يوسف نور الدائم، إشراف الدكتور: أحمد حسن قرينات، في جامعة الخرطوم، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، بدولة السودان.

وهذه الدراسة لم تتعرض فيها الباحثة للمعاني والدلالات للسور المفتتحة بالحمد.

٢- بحث محكم منشور في مجلة تبيان العدد الخامس والعشرين بعنوان: "فواتح سور القرآن الكريم -المعاني والدلالات" للدكتورة: نادية بنت إبراهيم النفيسة.

وهذه الدراسة كان الحديث فيها عن المعاني والدلالات للسور المفتتحة بالحمد مقتضبًا لم يتجاوز صفحتين فقط.

٣- بحث محكم منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد(١١٢) بعنوان: "حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيمة" للدكتور: عماد بن زهير حافظ.

وهذه الدراسة تتكلم عن صيغ الحمد والحكمة من تنوع هذه الصيغ، ولم تركز الحديث عن المعاني والدلالات للسور المفتتحة بالحمد.

وأما ما تمتاز به هذه الدراسة عن الدراسات السابقة.

١- التوسع في ذكر المعاني والدلالات التي أوردها المفسرون في تفاسيرهم، وأهل العلم ممَّا له علاقة في فواتح السور.

٢- ذكر العلاقة بين افتتاح السور بالحمد وموضوعاتها.

الطريقة المتبعة في كتابة هذا البحث:

١- كتابة الآية المفتتح بها بالحمد في أول السورة.

٢- ذكر العلاقة بين فاتحة السورة وموضوعاتها.

٣- ذكر المعاني والدلالات من افتتاح السورة بالحمد ممَّا ذكره المفسرون، وأهل العلم ممَّا له علاقة بموضوع الآية.

خطة البحث:

هذا وقد جعلت البحث في: مقدمة وسبعة مباحث وخاتمة.

فالمقدمة اشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والمنهج المتبع، وخطة البحث.

- **المبحث الأول**: تعريف الحمد.
- **المبحث الثاني**: أنواع فواتح السور وأهميتها.
- **المبحث الثالث**: الحمد في فاتحة سورة الفاتحة.
- **المبحث الرابع**: الحمد في فاتحة سورة الأنعام.
- **المبحث الخامس**: الحمد في فاتحة سورة الكهف.
- **المبحث السادس**: الحمد في فاتحة سورة سبأ.
- **المبحث السابع**: الحمد في فاتحة سورة فاطر.
- **الخاتمة**: وفيها أهم نتائج البحث

المبحث الأول

تعريف الحمد.

قال ابن فارس: "الحاء والميم والدال كلمة واحدة، وأصل واحد يدل على خلاف الذم، يُقَالُ حَمِدْتُ فُلَانًا أَحْمَدُهُ. وَرَجُلٌ مَحْمُودٌ وَمُحَمَّدٌ، إِذَا كَثُرَتْ خصاله المحمودة غير المذمومة"(١).

والحمد: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري على وجه التعظيم والتبجيل(٢).

"والحمد خبر بمحاسن المحمود مقرون بمحبته، والذم خبر بمساوئ المذموم مقرون ببغضه، فلا يكون حمد لمحمود إلا مع محبته، ولا يكون ذم لمذموم إلا مع بغضه، وهو سبحانه له الحمد في الأولى والآخرة.

ولا تكون عبادة إلا بحب المعبود ، ولا يكون حمد إلا بحب المحمود، وهو سبحانه المعبود المحمود"(٣).

قال القشيري: "حقيقة الحمد الثناء على المحمود، بذكر نعوته الجليلة وأفعاله الجميلة، واللام ها هنا للجنس، ومقتضاها الاستغراق؛ فجميع المحامد لله سبحانه إمَّا وصفاً وإمَّا خلقاً، فله الحمد لظهور سلطانه، وله الشكر لوفور إحسانه، والحمد لله لاستحقاقه لجلاله وجماله، والشكر لله لجزيل نواله وعزيز أفضاله"(٤).

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس٢/١٠٠، [باب الحاء والميم وما يثلثهما]

(٢) ينظر: لسان العرب لابن منظور ٣/١٥٥مادة [حمد]، والبحر المحيط لأبي حيان ١/١٨، والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للشربيني ١/٧، ؛ وفتح القدير للشوكاني ١/٦٨.

(٣) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية ٥/٤٠٤.

(٤) لطائف الإشارات ١/٩.

الفرق بين الحمد والشكر :

قال ابن كثير: " والتحقيق أن بينهما عموما وخصوصا، فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، تقول: حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه، وهو أخص؛ لأنه لا يكون إلا بالقول، والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون بالقول والعمل والنية، كما تقدم، وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية، لا يقال: شكرته لفروسيته، وتقول: شكرته على كرمه وإحسانه إلي"(١).

(١) تفسير القرآن العظيم ١٢٨/١، وللاستزادة ينظر: زاد المسير في التفسير لابن الجوي ١٨،ولسان العرب، لابن منظور ١٥٥/٣. مادة [ح م د]، ومدارج السالكين، لابن القيم ٢٤٦/٢، وعدة الصابرين، لابن القيم ١٢٣.

المبحث الثاني

أنواع فواتح السور (١).

افتتح الله سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء من السور عنها، وهذه الأنواع على النحو الآتي:

النوع الأول: الافتتاح بالثناء.

والثناء قسمان: الأول: إثبات لصفات المدح، وهو افتتاح خمس سور بالحمد هي،الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر، وسورتان بلفظ: ﴿تَبَارَكَ﴾ الفرقان والملك.

والثاني: التنزيه من صفات النقص بلفظ التسبيح بمشتقاته في سبع سور هي الإسراء،والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن والأعلى.

فهذه أربع عشرة سورة استفتحت بالثناء على الله نصفها لإثبات صفات الكمال، ونصفها لتنزيه الله عن صفات النقص.

النوع الثاني: الافتتاح بحروف التهجي.

وهي الأحرف المقطعة في أوائل السور نحو: ﴿الٓمٓ﴾ ، و﴿الٓمٓصٓ﴾ ، و﴿طسٓمٓ﴾، و﴿حمٓ﴾وذلك في تسع وعشرين سورة.

النوع الثالث: الافتتاح بالنداء.

وهو قسمان الأول: نداء للنبي ﷺ وذلك في خمس سور هي، الأحزاب، والطلاق، والتحريم، والمزمل، والمدثر، والثاني: نداء للعباد وتبدأ به خمس سور أيضًا، ثلاث منها للذين أمنوا، واثنتان منها للناس.

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي ١/١٦٤-١٦٥، والاتقان في علوم القرآن، للسيوطي٣/٣٦١-٣٦٣.

النوع الرابع: **الافتتاح بالجمل الخبرية**.

وذلك في ثلاث وعشرين سورة هي، الأنفال، والتوبة، والنحل، الأنبياء، والمؤمنون، والنور، الزمر، ومحمد ﷺ، والفتح، والقمر، والرحمن، والمجادلة، والحاقة، والمعارج، ونوح عليه السلام، والقيامة، والبلد، وعبس، والقدر، والبينة، والقارعة، والتكاثر، والكوثر.

النوع الخامس: **الافتتاح بالقسم**.

وذلك في خمس عشرة سورة هي: الصافات، والذاريات، والطور، والنجم، والمرسلات، والنازعات، والبروج، والطارق، والفجر، والشمس، والليل، والضحى، والتين، والعاديات، والعصر.

النوع السادس: **الافتتاح بالشرط**.

وذلك في سبع سور هي: الواقعة، والمنافقون، والتكوير، والانفطار، والانشقاق، والزلزلة، والنصر.

النوع السابع: **الافتتاح بالأمر**.

وذلك في ست سور هي: الجن، والعلق، والكافرون، والإخلاص، والفلق، والناس.

النوع الثامن: **الافتتاح بالاستفهام**.

وذلك في ست سور هي: الإنسان، والنبأ، والغاشية، والشرح، والفيل، والماعون.

النوع التاسع: **الافتتاح بالدعاء**.

وذلك في ثلاث سور هي: المطففين، والهمزة، والمسد.

النوع العاشر: **الافتتاح بالتعليل**.

في موضع واحد في سورة قريش ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾قريش: ١.

المبحث الثالث

الحمد في فاتحة سورة الفاتحة.

افتتح الله كتابه الكريم بالحمد، فقال ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الفاتحة: ٢ ، وهذا الحمد متضمن لمعنى الثناء على الله بما هو أهله، فهو ﷻ أهل الثناء والمجد، ومن ثم لا غرو أن يفتتح الله أربع عشرة سورة من سور كتابه بالثناء على نفسه؛ إمَّا مثبتًا لذاته العلية صفات الكمال، بـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ في خمس سور، و في ﴿تَبَارَكَ ﴾في سورتين، وإمَّا نافيًا عنه ما لا يليق بجلاله، وذلك بسبع سور مفتتحة بالتسبيح، فهذه السور افتتحت بالثناء على الله نصفها؛ لإثبات صفات الكمال، ونصفها لنفي النقائص عن الله ﷻ، فكان ذلك جمعًا بين النفي والإثبات، وهو متضمن معنى التعظيم لله ﷻ؛ إذ "التسبيح يتضمن التنزيه المستلزم للتعظيم، والحمد يتضمن إثبات المحامد المتضمن لنفي النقائص" [١].

ومن هذه السور المفتتحة بالحمد سورة الفاتحة، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾الفاتحة: ٢، وهي من أعظم سور القرآن؛ لحديث أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: (أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ ؟، ثُمَّ قَالَ: (أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ؟)، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: (لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ) قَالَ:(﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ) [٢] .

---

(١) قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات، لابن تيمية ٢٣.

(٢) رواه البخاري(كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب ح٥٠٠٦).

وهذه السورة هي سورة الصلاة، فلا تصح صلاة بدونها، وهي متضمنة للحمد والثناء والتمجيد لله رب العالمين؛ لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أنه سمع رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ) [(١)].

والمتأمل لافتتاح الفاتحة بالحمد يلحظ التناسب بين ما بُنيَتِ عليه السورة وافتتاحها بالحمد؛ حيث بُنيَتِ على الإلهيَّة والرُّبوبيَّة والرَّحمة؛ وبيان ذلك: "أن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مَبْنيٌّ على الإلهيَّة، و ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ مَبْنيٌّ على الرُّبوبيَّة، و ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ مَبْنيٌّ على الرَّحمةِ، والحمد يتضمن الأمُورَ الثلاثة فهو تعالى محمودٌ على إلهيَّتِه، ورُبوبيَّتِه، ورَحمتِه"[(٢)].

وحمد الله نفسه متضمن لأمر عباده بحمده-أي: أمر لهم بأن يقولوا: الحمدلله- ، وأن حمده ﷻ إقرار منهم بوجوده واستحقاقه للحمد وحده لا شريك له؛ وهذا التكليف باعث لهم على تذكر نعمه عليهم، فيوجب ذلك محبته في قلوبهم؛ إذ هو المتفضل عليهم بأن هداهم لحمده من بين سائر خلقه، فهو المربي

(١) رواه مسلم(كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح٣٩٥).

(٢) ينظر: تفسير سورة الفاتحة، لابن رجب ٤٣، وملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لابن الزبير الغرناطي ١٣/١.

لهم بنعمه الدينية والدنيوية، وأعظمها ما اختصهم من اللهج بحمده، وهدايته إياهم صراطه المستقيم(١).

وإن من أعظم ما ربَّى الله به عباده من نعمه التي يُحمد عليها نعمة الهداية؛ لكونه ﷻ اختص بها أنبياءه وملائكته وأولياءه والصالحين من عباده، وقد نبه الله عباده إلى هذا المعنى اللطيف في ستة مواضع بأنه لا يذكر في موضع منها قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلا ويذكر الهداية معه، وبيان ذلك على النحو الآتي:

الموضع الأول: أنه افتتح سورة الفاتحة بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الفاتحة: ٢ ، ثم أتبعه بقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٦ .

الموضع الثاني: في سورة الأنعام، قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾الأنعام: ٤٥ ، ثم أتبعه بقوله تعالى:﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾الأنعام: ٧١ ، وما ذكره الله من محاجة إبراهيم عليه السلام لقومه بقوله : ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾الأنعام: ٧٧ ، ثم ما ذكر من هداية الله له بقوله : ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ الأنعام: ٨٠ ،وقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري ١٣٧/١، والبسيط، للواحدي ٤٦٣/١، والتفسير الكبير للرازي ٤٧٥/١٢، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣٩.

لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾الأنعام: ٨٨ – ٩٠ ، وقوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ الأنعام: ١٢٥ ، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾الأنعام: ١٦١ .

الموضع الثالث: في سورة يونس، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ يونس: ٩ ،ثم أتبعه بقوله تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾يونس: ١٠، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾يونس: ٢٥ ، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ يونس: ٣٥.

الموضع الرابع: في سورة الصافات، ما ذكره الله من قول إبراهيم : ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾الصافات: ٩٩ ، وما ذكره الله عن موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾الصافات: ١١٨ ، ثم أتبع ذلك بما اختتم به السورة بقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾الصافات: ١٨٠ – ١٨٢.

الموضع الخامس: في سورة الزمر، قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ الزمر: ١٧ – ١٨ ، وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾الزمر: ٥٧ ، ثم أتبع ذلك بما اختتم به السورة بقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الزمر: ٧٥ .

الموضع السادس: في سورة غافر، ما ذكره الله عن مؤمن آل فرعون من قوله: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾غافر: ٣٨ ، ثم أتبع ذلك بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾غافر: ٦٥.

المبحث الرابع

الحمد في فاتحة سورة الأنعام.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ الأنعام: ١.

سورة الأنعام هي السورة الثانية من السور المفتتحة بالحمد، وتقع في الربع الأول من القرآن الكريم، وحمد الله لذاته العلية الشريفة لخلقه السماوات والأرض، والظلمات والنور في أول هذه السورة، فرد من أفراد تحميد الفاتحة تحقيقاً لكونها أمّاً، وهو داخل تحت قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الفاتحة: ٢ ؛ لأن لفظ العالم يتناول كل من سوى الله[١].

ومناسبة افتتاح سورة الأنعام بالحمد هو ما بيَّنته من دلائل التوحيد، وإثباته لله وحده، ودحض شبه المشركين ومناقشتهم، وذكر الدليل الأول على وحدانية الله تعالى، وهو انفراده بخلق السماوات والأرض، الذي جعل منهما معايش لهم، وأقواتهم وأقوات أنعامهم التي بها حياتهم، فمن السماوات ينزل الله الغيث، وفيها تجري الشمس والقمر، واختلاف الليل والنهار؛ ليعلموا عدد السنين والحساب، ومن الأرض يخرج الزرع الذي تأكل منه أنعامهم وأنفسهم، وجعلها مستقرًا لهم، وكل هذه النعم منه وحده لا شريك له، فهو المنفرد بالخلق المستحق للعبادة [٢].

---

(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازي١٦٢/١، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي ٣/٧.

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٤٤/٩و١٤/ ١٦٤، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ٣٨٣/٦، والتحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور ١٢٥/٧، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي ٦/ ٢٧٦.

وحمد الله يتضمن حمده لإيجاده لهذه النعم وتجددها، وأمره عباده بإخلاص الحمد والشكر له؛ وألا يشركوا معه في ذلك أحدًا شيئًا؛ لكونه خلقهم، وخلق السموات والأرض؛ ولذا قال: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾الأنعام: ١.

وحمد الله يتضمن حمده لإيجاده لهذه النعم وتجددها، وأمره عباده بإخلاص الحمد والشكر له؛ وألا يشركوا معه في ذلك أحدًا شيئًا؛ لكونه خلقهم، وخلق السموات والأرض؛ ولذا قال: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾الأنعام: ١.

وهذا الحمد في أول سورة الأنعام فيه من الحجة على عباد الله، والعظة لهم ما يَزَعُهم عن الشرك به، ونسبة النعم لغيره؛ إذ أن ما بهم من النعم ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ النحل: ٥٣ ، وكلها من آثار خلقه السماوات والأرض، فاستحق الحمد لذاته قبل إيجاده للخلق، وبعد إيجاده سواء شكره العباد أو كفروه؛ لما له سبحانه وتعالى من صفات الجلال والكمال، ولأياديه على عباده، ونعمه عليهم. (١)

وفي حمده ﷻ لخلق السماوات والأرض حجة على خلقه؛ ليعرفوا بها صانعها، وليستدلوا بها على عظيم قدرته على بعثهم بعد موتهم، ومجازاتهم على أعمالهم يوم القيامة، كما قال تعالى:﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ غافر: ٥٧ ، وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾الجاثية: ٢٢ (٢).

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٤٤/٩، والتفسير الكبير، للرازي١٩٠/٢٥، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي ٣/٧.

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٣٣٨/٩.

المبحث الخامس

الحمد في فاتحة سورة الكهف.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾الكهف: ١.

سورة الكهف هي السورة الثالثة من السور المفتتحة بالحمد، وتقع في منتصف القرآن الكريم، افتتح الله هذه السورة بحمد ذاته العلية الشريفة على إنزاله كتابه العزيز الذي خص به محمدا وانتخبه لبلاغه عنه؛ وتنبيهاً على أنه من أعظم نعمه على عباده ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ المائدة: ١٦ ، وهذا الكتاب تحصل به التربية الخاصة التي خصَّ الله بها أولياءه، فهداهم به إلى صراطه المستقيم، داخلة تحت قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾الفاتحة: ٢ فهو ربَّى عباده بنعمه العظيمة التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء،﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾النحل: ٥٣ ، وربَّى أولياءه بهدايتهم صراطه المستقيم، وتوفيقهم لكل خير، وعصمتهم من كل شر(١).

ونعم الله التي أنعم بها على عباده مع كثرتها، وعدم قدرتنا على إحصائها منحصرة في قسمين: نعمة الإيجاد، ونعمة الإبقاء...وفي كل حالة له تعالى علينا نعمتان: نعمة الإيجاد، ونعمة الإبقاء فقال في النصف الأول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ الأنعام: ١ ، إشارة إلى الشكر على نعمة

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري ١٤٠/١٥، والتفسير الكبير، للرازي ١٦٢/١، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي ٢٧٢/٣، وتيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي ٣٩.

الإيجاد، ويدل عليه قوله تعالى فيه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ الأنعام: ٢ ، إشارة إلى الإيجاد الأول، وقال في السورة الثانية وهي الكهف: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾الكهف: ١ – ٢ ، إشارة إلى الشكر على نعمة الإبقاء، فإن الشرائع بها البقاء، ولولا شرع ينقاد له الخلق لاتبع كل واحد هواه، ولوقعت المنازعات في المشتبهات، وأدى إلى التقاتل والتفاني"[١].

وهذا الحمد في أول السورة تعليم من الله لعباده كيف يثنون عليه، ويحمدونه على نعمة إنزال الكتاب، فإنها نعمة على النبيﷺ ، ونعمة علينا [٢].

وحمد الله في أول هذه السورة على إنزاله الكتاب على رسولهﷺ لما اختصه به من نعمة العلم والمعرفة والهداية بالقرآن، كما في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾البقرة: ١٥١ ، من أخبار الأنبياء، وقصص الأمم الخالية، التي لم تكن العرب تعلمها فعلموها من رسول الله ﷺ ، ومن ذلك ما تضمنته هذه السورة من التعريف بقصة أصحاب الكهف، ولقاء موسى عليه السلام الخضر، وما كان من أمرهما، وقصة ذي القرنين، ولمَّا كان كل هذا إخبار بما لا مجال للعقل في إدراكه، ولا تعرف حقيقته إلا بالوحى، والإنباء الصدق الذى لا عوج فيه ولا أمتراء ولا زيغ، ناسب ذلك افتتاح السورة بحمد الله في قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ الكهف: ١، وفي ذلك أعظم البرهان على صدق

(١) التفسير الكبير، للرازي٢٥/١٩٠

(٢) ينظر: التفسير الكبير، للرازي ٢١/٤٢٢، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي ٢/٢٨٥.

النبي ﷺ [1].

والمتأمل لحمد الله في أول هذه السورة يلحظ التشريف وعلو المنزلة للنبي ﷺ وما اختصه به الله من الوحي فالله ﴿يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾الحج: ٧٥ ، وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾وهذه صفة مدح وثناء؛ لأنه أضافه إلى عبوديته، كما وصفه بها في أشرف أحواله، ومنها هذا المقام عند إنزال الكتاب عليه، والكتاب، وهو: القرآن ممَّا اختص به نبيه ﷺ ، في صدق أخباره، وتكفله ﷻ بحفظه، وجعله ناسخًا للكتب المتقدمة ومهمينًا عليها، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤٨ [2].

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري ٢/٦٩٥، والتفسير الكبير، للرازي ١٢/٤٧٤، وملاك التأويل، لابن الزبير الغرناطي ١/١٥.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٩٢، و التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي ١/٤٥٨.

المبحث السادس

الحمد في فاتحة سورة سبأ.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾سبأ: ١.

افتتح الله سورة سبأ بالحمد؛ للتنبيه على ما تضمنته السورة من دلائل تفرده بالإلهية، واستحقاقه للحمد لذاته؛ لأن جميع صفاته، يحمد عليها؛ لكونها صفات كمال، وأفعاله يحمد عليها؛ لأنها دائرة بين الفضل الذي يحمد عليه ويشكر، والعدل الذي يحمد عليه، ويعترف بحكمته فيه(١).

وهذا الحمد من الله لذاته العلية الشريفة فيه تعليم للناس بأن يخصوه بالحمد؛ لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة، المالك لجميع ما في السموات وما في الأرض دون كل ما يعبدونه، ودون كل شيء سواه، لا مالك لشيء من ذلك غيره ؛ لأن منه النعم كلها على كل من في السموات ومن في الأرض في الدنيا، فالحمد لله خالصا دون ما سواه في عاجل الدنيا، وَآجِلِ الْآخِرَةِ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾القصص: ٧٠ ، فهو المحمود في الآخرة كما أنه المحمود في الدنيا،

(١) ينظر: التفسير الكبير، للرازي٢٥/١٩١، والتحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور٢٢/١٣٤، وتيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي ٦٧٤، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي ٦/ ٢٧٦.

وهو المالك للآخرة كما أنه المالك للأولى [١].

وهذا الحمد فيه "تعريض بكفران المشركين الذين حمدوا أشياء ليس لها في هذه العوالم أدنى تأثير، ولا لها بما تحتوي عليه أدنى شعور، ونسوا حمد مالكها وسائر ما في السماوات والأرض"[٢].

وخلق الله للسماوات والأرض، وملكه لما فيهما، يُعدُّ قسمًا من الأقسام الداخلة تحت قوله:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾الفاتحة: ٢ [٣].

وفي حمد الله لملكه لما في السماوات وما في الأرض، بيان لاختصاصه بالغنى والحمد وحده لا شريك له، كما في قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾لقمان: ٢٦ ، أي: المستحق لجميع المحامد؛ لأنه المنعم على الإطلاق، المحمود بكل لسان ألسنة الأحوال والأقوال، واستحقاقه للحمد؛ لكمال غناه، وافتقار الخلق إليه للانتفاع بما خلق، فهو يملكهم وما ملكوا، وهم محتاجون إليهﷻ[٤]

ولـمَّا كان حمد الله موجب للزيادة، والإعراض عن حمده والكفر به موجب للعذاب، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير١٩/٢٠٧، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٤/٢٥٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٦/٤٩٤ .

(٢) التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور ٢٢/١٣٦ .

(٣) ينظر: التفسير الكبير، للرازي٢٥/١٩١.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري ١٨/٥٧١، و التفسير الكبير، للرازي٢٥/١٩١، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي ١٥/١٩٥، والتحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور ٢١/١٧٩.

وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾إبراهيم: ٧، نبه الله عباده بما ضربه لهم من المثل بمن شكروا نعمة الله واتقوه فأوتوا خير الدنيا والآخرة، وسخرت لهم الخيرات مثل داود وسليمان عليهما السلام، وما كان من أمر الله لهما بقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾سبأ: ١٣ ، فامتثالا أمر الله ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾النمل: ١٥ ، وضرب لهم المثل بمن كفروا بالله فسلطت عليهم الأرزاء في الدنيا، وأعد لهم العذاب في الآخرة مثل سبأ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ سبأ: ١٥ – ١٧. [1]

وأما حمد الله في الآخرة؛ "لأن في الآخرة، يظهر من حمده، والثناء عليه، ما لا يكون في الدنيا، فإذا قضى الله تعالى بين الخلائق كلهم، ورأى الناس والخلق كلهم، ما حكم به، وكمال عدله وقسطه، وحكمته فيه، حمدوه كلهم على ذلك، حتى أهل العقاب ما دخلوا النار، إلا وقلوبهم ممتلئة من حمده، وأن هذا من جراء أعمالهم، وأنه عادل في حكمه بعقابهم،[كما في قوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الزمر: ٧٥].

وأما ظهور حمده في دار النعيم والثواب، فذلك شيء قد تواردت به الأخبار، وتوافق عليه الدليل السمعي والعقلي، فإنهم في الجنة يحمدون الله، لما يرون من

(١) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، لابن الزبير الغرناطي ١٥/١، والتحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور ١٣٥/٢٢ .

توالي نعم الله، وإدرار خيره، وكثرة بركاته، وسعة عطاياه"[1]، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾فاطر: ٣٤ – ٣٥ ، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ الزمر: ٧٤ ، والفرق بين الحمدين مع كون نعم الدنيا ونعم الآخرة بطريق التفضل؛ أن الأول على نهج العبادة، والثاني على وجه التلذذ والاغتباط، كما أخبر النبي ﷺ عن أهل الجنة أنهم: (يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالْحَمْدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفَسَ) [2]،[3].

وختم الله حمده بهذين الاسمين الكريمين: ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ يستلزم علمه بحقائق الأشياء على ما هي عليه، و ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ هو: العليم بدقائق الأشياء وظواهرها بالأولى بحيث لا يفوته شيء منها، وهو يستلزم التمكن من تصريفها، وهذا يتضمن إثبات إحاطة علم الله بما في السماوات وما في الأرض، فما يخبر به فهو واقع، ومن ذلك إثبات البعث والجزاء، وإثبات صدق النبي ﷺ فيما أخبر به، وصدق ما جاء به القرآن[4].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي ٦٧٤.

(٢) رواه مسلم (كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابٌ فِي صِفَاتِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا وَتَسْبِيحِهِمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا، ح٢٥٣٨).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي١٤/٢٥٩، النكت والعيون، للماوردي٤/٤٣١، وروح المعاني، للألوسي١١/٢٧٨.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور ٢٢/١٣٦ .

المبحث السابع

الحمد في فاتحة سورة فاطر.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾فاطر: ١ .

سورة فاطر هي خاتمة السور المفتتحة بالحمد، وافتتحها الله بما يدلّ على أنّه المستحقّ للحمد لذاته العلية الشريفة؛ لما بيَّنه فيها من صفات ربوبيته ودلائل وحدانيته من إبداع السماوات والأرض ، ومن خلق عمّار السماوات من الملائكة على عظيم خلقهم ، وجعلهم رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، وإمساكه السماوات والأرض أن تزولا وغير ذلك من هذه الأوصاف العلية، ولما فيها من تفصيل النعم الدينية والدنيوية التي احتوت عليها الفاتحة، فناسب ذلك افتتاحها بالحمد تعظيمًا لله وحمدًا له على عظمة ذاته[1].

وهذا الحمد متضمن للخلق والأمر، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ ؛ حيث إنه ﷻ لـمَّا أثنى على نفسه الكريمة المقدسة بكمال قدرته، على خلقه السماوات والأرض، وما اشتملتا عليه من المخلوقات،ذكر بعده ما يتضمن الأمر، بقوله تعالى:﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ فاطر: ١ في تدبير أوامره القدرية، ووسائط بينه وبين خلقه، في تبليغ أوامره الدينية[2] .

(١) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، لابن الزبير الغرناطي ١٥/١، والتحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور ٢٤٧/٢٢، وحاشية الصّاوي على الجلالين٣٠٩/٣.

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ٣٢٦/١٩، وتيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي ٦٨٤.

وفي حمد الله لذاته العلية في مطلع هذه السورة ما يدل على أنها جاءت لإثبات التوحيد، وإثبات صدق الرسول ، فيما جاء به، وأنه جاء بما جاءت به الرسل من قبله، وإثبات البعث والدار الآخرة، وإثبات لرسالته بما ووصف الله به ملائكته بأنهم رسل في قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾فاطر: ١ أي: جاعلهم رسلا منه، إلى المرسلين من البشر للوحي بما يراد تبليغهم إياه للناس(١).

وهذا الثناء من الله على نفسه بهذا الحمد العظيم، فيه تعليم لخلقه في كتابه أن يثنوا عليه بذلك، بكونه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾فاطر: ١ ، فخلقه للسماوات والأرض، وما ذكر معه يدل على عظمته، وكمال قدرته، واستحقاقه للحمد لذاته، وأنه أن أحق من يحمده العباد ويعبدونه؛ لعظمته وجلاله وكمال قدرته، ولإنعامه فهو المنعم عليهم بنعمة الإيجاد، ونعمة الأمداد، التي هي سبب بقائهم؛ ولذا فهم مفتقرون إلى الله خالق الأرض والسماء، وما فيهما من جمادات وأحياء، ومرسل الملائكة إلى الرسل والأنبياء، لهداية الإنسانية جمعاء، فهو ﷻ مستحق للحمدين المذكورين(٢).

إن حمد الله ووصفه بكونه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ و﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ ممَّا بُنيت عليه السورة، مقصود به الاعتبار من مخلوقاته ﷻ مما نصبه دالا على

(١) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور٢٢/ ٢٤٨.

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة، للماتريدي ٨/ ٤٦٥، ومفاتيح الغيب، للرازي ٢٢١/٢٦،، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي ٣/ ٧٥، وتيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي ٦٧٤، والتفسير القرآني للقرآن، للخطيب ١١/ ٨٥١، والتحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور ٧/ ١٥٨ ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي ٦/ ٢٧٦، والتيسير في أحاديث التفسير، لمحمد المكي الناصري ٢٠٩/٥.

إثبات صفة القدرة لله ﷻ، وما ذكره فيها من إرسال الرياح في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ فاطر: ٩ [1]، وتتجلى مظاهر هذه القدرة بخلقه ﷻ للسماوات والأرض؛ حيث لم يرد وصفه ﷻ بكونه فاطرًا إلا مقترنًا بالسماوات والأرض في ستة مواضع، وهي قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾الأنعام: ١٤ ، وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾يوسف: ١٠١ ، وقوله تعالى: ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾إبراهيم: ١٠ ، وقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾فاطر: ١ ، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾الزمر: ٤٦ ، وقوله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ الشورى: ١١ ، وخلق السماوات والأرض من آيات الله العظيمة التي يغفل كثير من الناس عن التفكر فيها، كما قال تعالى: ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾غافر: ٥٧، وفي خلق السماوات والأرض دلالة لمن تأملها على قدرة الله على البعث، وأن الذي خلق الأشياء العظيمة قادر على خلق ما دونها.

ومن مظاهر قدرة الله ما نبه إليه عباده بقوله تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِ ﴾ الشورى: ١١ ، فإن خلق الإنسان والأنعام من أعجب أحوال خلق الأرض، كما في قوله تعالى:﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ

(١) ينظر: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، لابن الزبير الغرناطي ١/١٨٤، ومفاتيح الغيب، للرازي ١٢/٤٧٤، وتيسير الكريم الرحمن، لابن سعدي ٦٨٤، والتفسير الحديث، لدروزة محمد عزت ٣/ ١٠٨.

أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ الذاريات: ٢١ ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ المؤمنون: ١٢ – ١٤ ، وما امتن الله به على الإنسان من خلق الزوجة، وجعله المودة والرحمة بين الزوجين، وما يترتب على الذرية من البنين والحفدة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم: ٢١ ، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾النحل: ٧٢ .

وأما الأنعام ما امتن الله به على عباده بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ النحل: ٥ – ٧ ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ المؤمنون: ٢١ – ٢٢.

ومن مظاهر قدرة الله ما ذكره الله عن الملائكة ورسالاتهم؛ حيث جعلهم رسلا، ولم يستثن منهم أحدا، وفي هذا دليل على كمال طاعتهم لربهم وانقيادهم لأمره، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾التحريم: ٦ ، وجعلهم ﴿أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ﴾ تطير بها، فتسرع بتنفيذ ما أمرت به، ﴿يَزِيدُ

فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُ ﴾ ومن ذلك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ [1]، وأنه ﷺ قال عن جبريل عليه السلام: (رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) [2]، ولما سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا النبي ﷺ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟، قَالَ: (لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) [3] .

---

(١) متفق عليه، البخاري (كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ح٣٢٣٢)، ومسلم(كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابٌ فِي ذِكْرِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ح٢٨٠).

(٢) رواه البخاري ومسلم واللفظ له، البخاري (كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ح٣٢٣٤)، ومسلم(كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ مَعْنَى قَوْلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ژ ڑ ک ک ک ژ النجم: ١٣ ، وَهَلْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ).

(٣) متفق عليه، البخاري (كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ، آمِينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ح٣٢٣١) ومسلم (كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ح١٧٩٥).

إن ختم الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ مناسب لما افتتحت به من حمد الله ووصفه بكونه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُ﴾.

وافتتاح سورة فاطر وهي خاتمة السور المفتتحة بقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بعد سورة الأنعام التي تقدمتها قبل بقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ الأنعام:١ متوافق مع ما في سورة الأنعام حيث ذكر الله فيها أولًا الخلق، ثم ذكر بعده أنه فاطر السماوات والأرض في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الأنعام:١٤، هذا من جهة، ومن جهة أخرى قدَّم الخلق أولًا؛ لأن ذلك استدلال بعلم الله واستحقاقه للعبودية، وكونه فاطر السماوات والأرض استدلال بقدرته وافتقار الخلق إلى الله في أسباب بقائهم إلى أجل. (١)

قال الرازي: " فإن قيل: ما الفرق بين الخالق وبين الفاطر والرب؟ وأيضا لم قال هاهنا: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ الأنعام:١ بصيغة فعل الماضي؟ وقال في سورة فاطر: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فاطر:١ بصيغة اسم الفاعل؟ فنقول في الجواب عن الأول: الخلق عبارة عن التقدير، وهو في حق الحق سبحانه عبارة عن علمه النافذ في جميع الكليات والجزئيات الواصل إلى جميع ذوات الكائنات والممكنات، وأما كونه فاطرا فهو عبارة عن الإيجاد والإبداع، فكونه تعالى خالقا إشارة إلى صفة العلم، وكونه فاطرا إشارة إلى صفة القدرة، وكونه تعالى ربا ومربيا مشتمل على الأمرين، فكان ذلك أكمل" (٢) .

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي١٢/٤٧٤، والتحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور ١٥٨/٧.
(٢) مفاتيح الغيب، للرازي١٢/٤٧٤.

الخاتمـــة

أحمد الله حمدًا كثيرا طيبا مباركا فيه على ما يسر لي من كتابة هذا البحث وإتمامه، فلله الحمد والثناء الحسن، لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه في الأزل.

وبعد العيش مع فواتح السور المفتتحة بالحمد تدبرًا لمعانيها، وإلمامًا لما وقفت عليه من دلالاتها، أخلص في خاتمة بحثي إلى أبرز النتائج التي توصلت إليها، وهي على النحو الآتي:

١- أن استحقاق الله للحمد لذاته وما اتصف به من صفات الكمال والعظمة والجلال، ولإنعامه على بني آدم بخلق السماوات والأرض.

٢- ظهور العلاقة بين الحمد في فواتح السور وموضوعاتها.

٣- أن حمد الله في سورة الفاتحة في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ من أجمع صيغ الحمد؛ لأن ما حُمد الله به في فواتح السور عدها يُعدُّ قسمًا من الأقسام الداخلة تحته.

٤- دلالة حمد الله تعالى على إثبات صفتي العلم والقدرة لله ﷻ .

٥- دلالة حمد الله تعالى على إثبات استحقاق الله للعبادة، وقدرته على البعث، وإثبات الرسالة للنبي ﷺ.

٦- أن بين يدى كل نعمة جليلة يجيء حمد الله، منبهًا إلى قدر هذه النعمة، ومذكّرا بما ينبغى على العباد إزاءها من حمد وشكران.

٧- أن استحقاق الله للحمد؛ لكمال غناه، وافتقار الخلق إليه، فهو ﷻ أوجدهم من

العدم، وأمدَّهم بالنعم، فهم لا ينفكون عن آلاءه، ولا غنى لهم طرفة عين عن إحسانه وإنعامه.

سبحانك ربنا ﴿رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الصافات: ١٨٠ – ١٨٢.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المراجع

١- الإتقان في علوم القرآن - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي(ت١٣٩٣هـ)، نشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ،لبنان،١٤١٥ هـ.

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبدالله بن عمر البيضاوي(ت٦٨٥هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤- البحر المحيط، أبوحيان محمد بن يوسف الأندلسي(٧٤٥هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢،١٤٠٣هـ.

٥- البرهان في علوم القرآن - محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م -الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه

٦- تأويلات أهل السنة - محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) - تحقيق د: مجدي باسلوم - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٧- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ)، نشر: الدار التونسية، ١٩٨٤م.

٨- التسهيل لعلوم التنزيل - محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي

الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) – تحقيق د: عبد الله الخالدي – الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت –الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ

٩– التَّفْسِيرُ البَسِيْط – علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)

أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه – الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية –الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ

١٠– التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول] – دروزة محمد عزت – الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة

الطبعة: ١٣٨٣ هـ

١١– تفسير الفاتحة– عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥ هـ)– تحقيق: سامي بن محمد بن جاد الله– الناشر: دار المحدث للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى: ١٤٢٧ه

١٢– تفسير القرآن العظيم– إسماعيل بن عمر بن كثير(ت٧٧٤هـ)، تحقيق:سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ

١٣– التفسير القرآني للقرآن – عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) –الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة

١٤- التفسير الكبير – مفاتيح الغيب ، محمد بن عمر الرازي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠١هـــ ١٩٨١م.
١٥- تهذيب اللغة- أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ)، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

١٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق – نشر: مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م . الناشر: مؤسسة الرسالة -الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

١٧- التيسير في أحاديث التفسير – محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ) – الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م
١٨- جامع البيان في تأويل القرآن -محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)،تحقيق: تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر ،الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٩- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه – صحيح البخاري – محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر – الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٢٠- الجامع لأحكام القرآن - محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش - الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

٢١- الجواهر الحسان في تفسير القرآن - أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) - تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٢٢- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين: الصاوي، أحمد بن محمد.٤ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٣- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الشهاب محمود بن عبدالله الآلوسي(ت١٢٧٠هـ)،دار إحياء التراث العربي،بيروت، لبنان، ط٤،١٤٠٥هـ

٢٤- زاد المسير في علم التفسير - جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) -تحقيق: عبد الرزاق المهدي - الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت -الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

٢٥- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير - محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) - الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرة - عام النشر: ١٢٨٥ هـ

٢٦- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) - الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية -

الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م
٢٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني(ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ودار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.
٢٨- فواتح السور وخواتيمها -دراسة نصية تحليلية" للطالبة: ألاء الحبر يوسف نور الدائم، إشراف الدكتور: أحمد حسن قرينات، في جامعة الخرطوم، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، بدولة السودان.

٢٩- قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات -أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) - تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود - الناشر: مكتبة أضواء السلف - الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م
٣٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - محمود بن عمر الزمخشري، مع تعليقات كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال للإمام ناصر الدين ابن منير المالكي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٣١- لسان العرب - محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ) ، الناشر : دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى١٤١٠هـ..

٣٢- لطائف الإشارات - عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ) - تحقيق: إبراهيم البسيوني -الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - الطبعة: الثالثة
٣٣- مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٧و٤٨.

٣٤- مجلة تبيان العدد ٢٥.

٣٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)- تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي - الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت - الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م

٣٦- مدارك التنزيل وحقائق التأويل- عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) - تحقيق: يوسف علي بديوي -راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو - الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٣٧- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ - - صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

٣٨- معالم التنزيل في تفسير القرآن - الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع-الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٣٩- مقاييس اللغة- أحمد بن فارس بن زكريا، (ت٣٩٥هـ)ت، عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ.

٤٠- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل- أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى:

٧٠٨هـ)-وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي-الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

٤١- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية - أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) - تحقيق: محمد رشاد سالم - الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

٤٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(ت٨٨٥هـ)- دار النشر: دار الكتب العلمية- بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م

٤٣- النكت والعيون - أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص	١٩٧٣
المقدمة	١٩٧٥
المبحث الأول: تعريف الحمد.	١٩٧٩
المبحث الثاني: أنواع فواتح السور وأهميتها.	١٩٨١
المبحث الثالث: الحمد في فاتحة سورة الفاتحة.	١٩٨٣
المبحث الرابع: الحمد في فاتحة سورة الأنعام.	١٩٨٨
المبحث الخامس: الحمد في فاتحة سورة الكهف.	١٩٩٠
المبحث السادس: الحمد في فاتحة سورة سبأ.	١٩٩٣
المبحث السابع: الحمد في فاتحة سورة فاطر.	١٩٩٧
الخاتمة	٢٠٠٣
المصادر والمراجع	١٩٦٠
فهرس الموضوعات	١٩٦٩